أوستن تشمبرلين

ان حياة السر اوستن تشمبرلين ، وحياة شقيقه من ابيه المستر نفيل تشمبرلين وزير المالية البريطانية الحالي ، وخلف المستر بولدوين المتوفى ، مثل آخر من أمثلة متعددة في تاريخ بريطانيا السياسي ، على توارث العبقرية السياسية في اسر معينة . ولعل اشهر الامثلة على ذلك توزيران بت الكبير وبت الصغير ، ونورد وانسرلف تشرشل وابنه وستن تشرشل ، وجوزيف تشمبرلين وابناه اوستن ونفيل .

ثم ان في البرلمان الحالي ، المستر لويد جورج وابنه وابنته ، وبولدوين وابنه ، ومكدونلد وابنه ولكن الابناء — ماعدا ابن مكدونلد وهو وزير الدومنيون الآن — لم يبلغوا من المقام بعد ما يبعث على القول بانهم ورثوا عبقرية آبائهم

***

ولد اوستن تشمبرلين في سنة ١٨٦٣ فكان عند وفاته في الرابعة والسبعين من عمره ، وتلقى العلم في مدرسة رجبي ثم في كلية تريلتي بجامعة كمبردج وانتخب عضواً في البرلمان سنة ١٨٩٢ عن مقاطعة وسترشير الشرقية

كان الانتخاب العام في تلك السنة قد أسفر عن فوز غلادستون وحزبه ، ولكن اكثريته كانت يسيرة ومضعضعة ، فرأى المحافظون ان يجمعوا جمعهم ويعقدوا تحالفاً مع العناصر المؤيدة لهم في البلاد او في البرلمان . وجلس اوستن على المقاعد التي كان يجلس عليها والده ، اذ كان لايزال في عز نشاطه السياسي . ويقال ان ذلك كان في غير مصلحة الابن الشاب ، لانه جلس في البرلمان ، وكأنه جالس في ظل مخيم عليه ، لان اسم ابيه كان ملء الافواه والاسماع حينئذ

ثم تاتيح للعضو الجديد — اي اوستن تشمبرلين — ان يلقي خطبته الاولى ، فكانت بارعة في مادتها واسلوبها ، فوجهت اليه الانظار ، فاثنى عليه غلادستون ، واغتبط به والده اي اغتباط

وفي سنة ١٨٩٥ عين اوستن لورد البحرية المدني ، ثم نقل سكرتيراً ماليًّا للخزانة . وفي سنة ١٩٠٢ عين وزيراً للبريد

وعندئذٍ وقع ما كان متوقعاً. فقد استقال تشمبرلين، وآرثر بلفور، وغيرهما من المحافظين، لأنهم كانوا يرغبون في الاشتراك في الحكومة على أساس حزبي. فعرض لويد جورج على بونار لو أن يؤلف وزارة جديدة من المحافظين والأحرار، فأبى ذلك. وعرض كذلك على آرثر بلفور فأبى. فعين لويد جورج تشمبرلين في وزارته الجديدة وهو يناهز الأربعين من العمر. ولم يكن هيّناً عين في هذا المنصب، فكي يكون كفؤاً له كان يحتاج إلى الهدايا التي ورثها والده والخلات التي يحملها على الحكومة لأن البلاد الانكليزية كانت في تلك الساعة بحاجة إلى التفضيل الامبراطوري

فكان نيفيل في ذلك المنصب الجديد، وهو عاد سهل الى رآسة الوزارة، وكرامة ابن أبيه، من العراقيل التي نبتت في سبيله. ولكن آرثر تغلب عليها لأنه كان قوي العقل والخلق، فعلم جميع الذين اتصلوا به أن يحترموه. حتى أصبح في عرف الجميع أحد ثلاثة أو ثلاثة اقطاب في حزب المحافظين، تلوح لهم زعامة الحزب ورآسة الوزراء، عن قرب، أو حدث ما أخلى لهم منصب الزعامة والرآسة

فلما أتيحت الفرصة، فضل آرثر تشمبرلين وحدة الحزب، على النزاع في صفوفه لانتزاعه بينه وبين وانتر لونج، وتخلى عن منصب الزعامة والرآسة لآخر هو السير بونارلو، سلفاً للسر نيفيل تشمبرلين

***

وكانت الحكومة البريطانية قبيل الحرب في أيدي الاحرار وفي بدايتها، فلما استقال اسكويث في أثناء الحرب، وأراد لويد جورج أن يؤلف وزارة مؤتلفة، ودعى المحافظون الى الاشتراك فيها، عاد آرثر تشمبرلين الى الوزارة، كوزير لا كزعيم لفريق المحافظين وتقلد وزارة الهند، وهي وزارة دون وزارة المالية التي سبق له تقلدها، ولما يكثر الراغبون فيها. ولكنه استقال في يوليو سنة ١٩١٧، لخطأ ارتكب مرءوسيه في الجيش البريطاني بالعراق فكانت استقالته، ودفاعه عن رجال وزارته في البرلمان من بواعث الاعجاب والاجلال، التي اكبرهما مواطنوه اليه، اذ رأوا في تصرفه تلك الصفة التي يقدسها الانكليز في رجال السياسة عندهم وهي فائدتهم الايثار واختيار الطريق الشريف وسلوكه

رأيت آرثر الوزارة وجلس حضراً في المجلس الحربي سنة ١٩١٨، ثم في يناير سنة ١٩١٩ جعل ثانية وزيراً للمالية، فلما انفصل المحافظون عن وزارة لويد جورج المؤتلفة سنة ١٩٢١، وعرض

بونارلو زعيم المحافظين حينئذ ، ظل جميع الكتاب السياسيين انه الزعامة والرئاسة لا يتارعه فيها منازع

ولكن المستر بولدوين اختير خلفاً لبونارلو زعيماً للمحافظين لان تشمبرلين كان لا يزال متمتعاً بوجوب الابقاء على الائتلاف . وتقلد بولدوين رئاسة الوزارة فلم يكن تشمبرلين من نصيبها ولكن عند ما ألف وزارته الثانية في اواخر سنة ١٩٣٤ عين أوستن تشمبرلين وزيراً للخارجية

وفي اثناء تقلده لهذه الوزارة اشترك مع السياسي الفرنسي بريان والسياسي الالماني شترزمان في عقد معاهدة لوكارنو المشهورة ، وأهم قواعدها ضمان ايطاليا وانكلترا لتحديد الفاصلة بين المانيا من جهة وفرنسا وبلجيكا من جهة اخرى بحيث تجد الدولتان الضامنتان الدولة المعتدي عليها على جانبي هذه الحدود

وقد كان من اثر هذه المعاهدة ان اوربا اخذت الى فترة من الطمأنينة والسلام ولولا الازمة الاقتصادية الدولية وما جرته في آثارها من الانقلابات السياسية لكانت اوربا جنت ثمار هذه الطمأنينة

ولذلك منح اوستن تشمبرلين بالاشتراك مع بريان وشترزمان جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٢٥

وبعد تخليه عن وزارة الخارجية في آخر وزارة بولدوين الثانية ، لم يعد الى تقلد المناصب الوزارية ، الا وزارة البحرية فترة قصيرة من اغسطس الى اكتوبر سنة ١٩٣١ في الوزارة القومية الاولى ، ولكنه ظل عضواً في البرلمان ، ينظر اليه كشيخ من شيوخ السياسة ، الذين يسمع رأيهم في المشكلات الخارجية خاصة ، بما هو جدير به من الاجلال والاحترام وقد كان صوته الذي ارتفع في آخر سنة ١٩٣٥ ضد الاتفاق الذي وضعه السر صموئيل هور والمسيو لافال من البراعث القوية ، على امتعاض الامة الانكليزية من ذلك الاتفاق اشد امتعاض وانتهى الى استقالة السر صموئيل هور

وقيل حينئذ ان السر اوستن تشمبرلين قد يعود الى وزارة الخارجية ، لان وجوده فيها ، يبعث على الاحترام والثقة ، ولكنه اراد ان يفسح المجال لمن هو اصغر منه سناً فعين المستر ايدن وزيراً للخارجية وهو الذي رباه اوستن تشمبرلين ، وتعهده عندما كان ايدن سكرتيراً خاصاً لبرلمانيا له في وزارة الخارجية

***

فبوفاة السر اوستن تشمبرلين خسرت بريطانيا شيخاً من شيوخها السياسيين ، كانت حياته مثالاً بليغاً على اعلى التقاليد المتبعة في الحياة العامة فيها